
على أربع قوائم
الشّاهين
سمير





على أربع قوائم

الشّاهين

النّصّ الفرنسيّ: مروان الأحدب

تعريب: إليسار الصّائغ الأسمر

تنسيق النّصّ العربيّ: شربل شربل

التّصميم الفنّيّ: كارين معوّض

خطّ العناوين: راغدة ميلع

البحث عن الصّور: داڤيد پانفور



عالِيًا جِدًّا في الفَضاءِ

بَعدَ قَليلٍ، يَحِلُّ اللَّيلُ في الجَبَلِ. تُغادِرُ ذُيولُ أَشِعَّةِ الشَّمسِ الجُروفَ الحادَّةَ الانحِدارِ. وَفي أَرجاءِ المَشهَدِ المُترامي، تُدَوّي صَرَخاتٌ غَريبَةٌ: نَعيبٌ، وَزَقزَقَةٌ، وَصِياحٌ؛ لا شَيءَ يَبعَثُ عَلى الارتِياحِ...

عالِيًا في الفَضاءِ، تُحَلِّقُ طُيورٌ مُهاجِرَةٌ فَوقَ هذا المَنظَرِ الطَّبيعِيِّ، قَريبَةً جِدًّا بَعضُها مِن بَعضٍ. وَفي مَكانٍ أَعلى بَعدُ، تَحومُ نُقطَةٌ سَوداءُ تَكادُ لا تُرى. وَإذا بِهذِهِ النُّقطَةِ تَهبُطُ في خَلاءٍ وَبِسُرعَةٍ رَهيبَةٍ؛ رَأَتها الطُّيورُ المُهاجِرَةُ بَعدَ فَواتِ الأَوانِ، وَحاوَلَتِ الفِرارَ مُطلِقَةً أَجنِحَتَها لِلرّيحِ؛ غَيرَ أَنَّ المُهاجِمَ أَدرَكَها فَأَمسَكَ طَريدَةً بِمَخالِبِهِ؛ بَعدَ قَليلٍ، وَفي غَمرَةِ طَيَرانِهِ، نَتَفَ الطَّيرَ وَابتَلَعَهُ. تَناوَلَ الشّاهينُ وَجبَةً لِلتَّوِّ!



يَستَفيدُ الشّاهينُ مِنَ التَّيّاراتِ الهَوائِيَّةِ الحارَّةِ لِكَي يَرتَفِعَ عالِيًا في الفَضاءِ.

أَيُّ واحِدٍ مِن هذِهِ الزَّرازيرِ سَيَكونُ الضَّحِيَّةَ المُقبِلَةَ؟ ←



إنَّهُ طائِرٌ جارِحٌ، يُدعى بِالشّاهينِ، وَيُلَقَّبُ بِـ «سَيِّدِ الفَضاءِ»؛ وَهوَ الطّائِرُ الأَسرَعُ في العالَمِ، نَظَرًا لِسُرعَتِهِ الَّتي يُمكِنُها أَن تَتَجاوَزَ الـ200 كم في السّاعَةِ. وَإذا كانَ يُحِبُّ مَناظِرَ الجِبالِ الطَّبيعِيَّةِ، فَلِأَنَّهُ يَجِدُ فيها مَناطِقَ هادِئَةً يَلجَأُ إِلَيها لِلاحتِماءِ. لكِنَّهُ في الواقِعِ، يُرى في كُلِّ مَكانٍ: في مَصَبّاتِ الأَنهُرِ، وَالمُستَنقَعاتِ، وَسُهُبِ القُطبِ الشَّمالِيِّ، وَالمَناطِقِ الاستِوائِيَّةِ وَحَتّى في أَوساطِ المُدُنِ. وَمَعَ الإنسانِ، يُعَدُّ الشّاهينُ أَحَدَ أَنواعِ الحَيَواناتِ الأَكثَرِ انتِشارًا عَلى الأَرضِ. إلّا أَنَّ مَكانَ عَيشِهِ غَيرُ مُهِمٍّ، فَمَملَكَةُ الشّاهينِ هِيَ أَوَّلًا الفَضاءُ، فَهُنالِكَ مَنطِقَةُ صَيدِهِ.

هُوَ مُستَعِدٌّ لِتَحقيقِ رَقمٍ قِياسِيٍّ في السُّرعَةِ!



لا شَيءَ أَفضَلُ مِن جَلسَةِ تَنظيفٍ بَعدَ وَجبَةٍ لَذيذَةٍ.

عِندَما لا يَصطادُ، يُحِبُّ الشّاهينُ أَن يَجثِمَ في مَكانٍ عالٍ لِيُشاهِدَ الطَّبيعَةَ مِن حَولِهِ. ←



تِقنِيَّةُ مُحتَرِفٍ

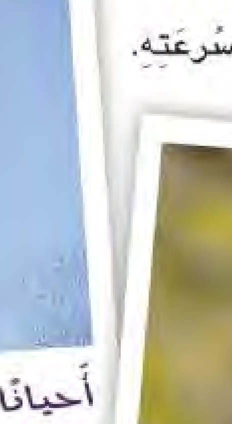
بِالنِّسبَةِ إلى الشّاهينِ، لا يَتِمُّ الصَّيدُ بِطَريقَةٍ عَشوائِيَّةٍ. بَل عَلى العَكسِ، فَالهُجومُ يَتَّبِعُ تَسَلسُلًا دَقيقًا. في البِدايَةِ، يُعايِنُ الطّائِرُ طَريدَتَهُ؛ قَد يَكونُ مُحَلِّقًا فَيَراها صُدفَةً، أَو قَد يَكونُ جاثِمًا عَلى قِمَّةِ جُرفٍ، يُراقِبُ بِانتِباهٍ.



بِالضَّبطِ، قُبَيلَ وُصولِهِ إلى طَريدَتِهِ، يَمُدُّ الشّاهينُ قائِمَتَيهِ وَيَفتَحُ مَخالِبَهُ.

ما إن يُعاينُ الطّائرُ الجارحُ طَريدَتَهُ، حَتّى يُنَفِّذَ تَحليقًا لِلاقترابِ مِنها؛ وَفي مَرحَلَةِ الانتقالِ هذِهِ، يَخفُقُ الطّائرُ بِجَناحَيهِ بِقُوَّةٍ لِكَي يَرتَفِعَ مِئاتِ عَديدَةً مِنَ الأَمتارِ فَوقَ ضَحِيَّتِهِ؛ يُزامِنُ ذلِكَ قِيامُهُ بِدوراتٍ كَبيرَةٍ لِئَلّا يَترُكَها تَظُنُّ أَنَّهُ يَقتَرِبُ مِنها.

بَعدَ ذلِكَ، وَفي أَغلَبِ الأَحيانِ، يَغطِسُ الشّاهينُ تِبعًا لِزاوِيَةٍ مِن 30 دَرَجَةً باتِّجاهِ طَريدَتِهِ، وَيَستَقيمُ فَجأَةً لَدى اقتِرابِهِ مِنها، فَيُمسِكُها مِن ظَهرِها لِكَي يَتَمَكَّنَ مِن مُباغَتَتِها بِشَكلٍ أَفضَلَ. وَفي خِلالِ هذا الغَطسِ، بِقَدرِ ما يَضُمُّ الجارِحُ جَناحَيهِ، بِقَدرِ ما يَتَمَكَّنُ مِن زِيادَةِ سُرعَتِهِ.



أَحيانًا، تَتَلَوّى الطُّيورُ في الفَضاءِ، فَتُفاجِئُ الشّاهينَ وَلا يَعودُ قادِرًا عَلى الإمساكِ بِها.



عِندَما لا يَتَلَذَّذُ بِوَجبَتِهِ في أَثناءِ التَّحليقِ، فَإِنَّهُ يَحُطُّ عَلى جانِبِ صَخرَةٍ وَيَنتُفُ فَريسَتَهُ لِيَأكُلَها.





يَأكُلُ الشّاهينُ الطُّيورَ بِنَوعٍ خاصٍّ، وَلكِنَّهُ يَقومُ بِاستِثناءاتٍ أَحيانًا،
فَقَد قَبَضَ هُنا عَلى أَرنَبٍ.

وَلكِنَّ الهُجومَ قَد يَكونُ أَعنَفَ بَعدُ، فَإثرَ انتِقالِهِ في الأَجواءِ، يَضُمُّ الشّاهينُ جَناحَيهِ تَمامًا وَيَنقَضُّ عَلى فَريسَتِهِ تِبعًا لِزاوِيَةٍ قائِمَةٍ. إذا لَم تَنجَحْ بِالفِرارِ، فَغالِبًا ما تَموتُ فَورًا، بِقَدرِ ما تَكونُ صَدمَةُ المُعتَدي عَنيفَةً. لِحُسنِ حَظِّها، تِسعَ مَرّاتٍ مِن عَشرٍ لا يَبلُغُ الشّاهينُ هَدَفَهُ، لِأَنَّهُ في سُرعَتِهِ الكَبيرَةِ تِلكَ، لا يَستَطيعُ تَغييرَ وُجهَتِهِ بِسُهولَةٍ، إذا ما انحَرَفَتِ الطَّريدَةُ فَجأَةً.

جارِحٌ ذو بِنيَةٍ مُمتازَةٍ

قَبلَ أن يَتَمَكَّنَ الشّاهينُ مِنَ القَبضِ عَلى طَريدَتِه، يَجِبُ أن يُعايِنَها، وَفي هذا، هُوَ لا يُقهَرُ، لِأَنَّ بَصَرَهُ استِثنائِيٌّ. في البِدايَةِ، إنَّ عَينَيهِ ضَخمَتانِ. وَلَو كانَ لَنا، نَحنُ البَشَرَ، ما يُماثِلُهُما، لَكانَتا كَبيرَتَينِ كَشَمّامَتَينِ!

وَفَضلًا عَن ذلِكَ، هُما تَرَيانِ أَدَقَّ التَّفاصيلِ، فَالشّاهينُ يُمَيِّزُ عُصفورَ الدّورِيِّ مِن مَسافَةِ 4 كيلومِتراتٍ، كَما أَنَّهُ يَرى عِندَما يَحِلُّ اللَّيلُ وَيَختَرِقُ بَصَرُهُ حَتّى الضَّبابَ!

وَفي ما يَتَعَلَّقُ بِالهَيئَةِ، فَأَعضاؤُهُ مِثالِيَّةُ التَّناسُقِ. إنَّ جَناحَيهِ الطَّويلَينِ وَالضَّيِّقَينِ يَجعَلانِ حَومانَهُ أَسهَلَ مِن حَومانِ الصُّقورِ الأُخرى ذاتِ الوَزنِ نَفسِهِ. وَهُما يَسمَحانِ لَهُ بِالارتِفاعِ سَريعًا في الأَجواءِ.

كَكُلِّ الصُّقورِ، يُبَدِّلُ الشّاهينُ ريشَهُ كُلَّ سَنَةٍ.

عَلى كُلٍّ مِن مِنخَرَيِ الشّاهينِ زائِدَةٌ ذاتُ دَورٍ مُهِمٍّ، فَهُما تُحَوِّلانِ مَجرى الهَواءِ، عِندَما يَطيرُ الطّائِرُ بِسُرعَةٍ فائِقَةٍ، لِئَلّا يَدخُلَ رِئَتَيِ الشّاهينِ وَيَمنَعَهُ مِنَ التَّنَفُّسِ.



وَقائِمَتاهُ مُلائِمَتانِ تَمامًا لِلقَبضِ عَلى الطَّرائِدِ في أَثناءِ الطَّيَرانِ: لِكُلٍّ مِنهُما أَربَعُ أَصابِعَ طَويلَةٍ تُطَوِّقُ الضَّحِيَّةَ؛ في طَرَفِ كُلِّ إِصبَعٍ ظِفرٌ مُقَوَّسٌ يُمسِكُ بِريشِ الطَّريدَةِ، فَلا يَعودُ لَدَيها أَيُّ وَسيلَةٍ لِلهَرَبِ!

أَمّا المِنقارُ القَصيرُ وَالقاطِعُ، فَلَهُ أَيضًا فائِدَتُهُ، فَفي جَوفِ الطَّرَفِ المُقَوَّسِ، شَيءٌ أَشبَهُ بِسِنٍّ حادَّةٍ كَالشَّفرَةِ؛ تَسمَحُ هذِهِ السِّنُّ لِلشّاهينِ بِدَقِّ عُنُقِ طَريدَتِهِ لَحظَةَ قَتلِها.

الرُّقطَتانِ السَّوداوانِ عَلى خَدَّيِ الشّاهينِ، وَاللَّتانِ تُدعَيانِ بِـ «الشَّوارِبِ»، تُقَلِّصانِ شُعاعَ النّورِ حَولَ عَينَيهِ، فَتَسمَحانِ لَهُ هكَذا بِرُؤيَةٍ أَوضَحَ.



وَهوَ يَغطِسُ، يَبدو الشّاهينُ كَطائِرَةٍ حَربِيَّةٍ!



عِندَما يَحومُ الشّاهينُ، يَتَّخِذُ ذَنَبُهُ شَكلَ مِروَحَةٍ لِيَمنَحَهُ مَزيدًا مِنَ الثَّباتِ.

← الذَّكَرُ أَقَلُّ حَجمًا مِنَ الأُنثى بِمِقدارِ الثُّلثِ تَقريبًا.

طائِرٌ مُغرَمٌ

عِندَما لا يَكونُ الشّاهينُ مُنشَغِلًا بِالصَّيدِ، فَهوَ رومَنسِيٌّ إلى حَدٍّ بَعيدٍ. إنَّهُ دائِمُ الاستِعدادِ لِلقاءاتٍ حَميمَةٍ. وَقَد تَتِمُّ في أَيِّ وَقتٍ مِنَ السَّنَةِ. لكِنَّها تَحصُلُ في مُعظَمِ الأَحيانِ ما بَينَ شُباطَ (فِبرايِرَ) وَأَيّارَ (مايو)، عِندَما يَحِلُّ الرَّبيعُ وَتَعودُ كُلُّ الشَّواهينِ إلى الأَماكِنِ الَّتي سَبَقَ لَها أَن تَكاثَرَت فيها.

قَبلَ الوَضعِ بِثَلاثَةِ أَسابيعَ، يَجتَهِدُ الشَّريكانِ في جَذبِ أَحَدِهِما الآخَرَ. فَهُما مَعًا يَتَسابَقانِ في الفَضاءِ، وَيَنقَضّانِ عَلى طَرائِدَ وَهمِيَّةٍ، وَيَبلُغانِ سُرعاتٍ مُذهِلَةً؛ وَكُلُّ ذلِكَ رَغبَةً في استِمالَةِ الزَّوجِ عَبرَ القِيامِ بِحَرَكاتٍ بَهلَوانِيَّةٍ...



لا شَيءَ أَفضَلُ مِن وَجبَةٍ عَلى انفِرادٍ تَجمَعُ الزَّوجَينِ!

حَيثُ لا جُروفَ، يَستَطيعُ الشّاهينُ أَن يُعَشِّشَ عَلى الأَرضِ.



وَمَعًا أَيضًا، يُنَفِّذانِ تَحليقًا مُتلَوِّيًا أَو آخَرَ عَلى شَكلِ «8»؛ وَهذِهِ الحَرَكاتُ الَّتي تُرى مِن بَعيدٍ، تُسهِمُ في تَحديدِ المَنطِقَةِ، حَيثُ لا يَعودُ لَدى الصُّقورِ الأُخرى الحَقُّ بِالدُّخولِ. تَجدُرُ الإشارَةُ إلى أَنَّ التَّكاثُرَ هُوَ عَمَلٌ مُقَدَّسٌ بِالنِّسبَةِ إلى هذا الجارِحِ، الَّذي يَمنَعُ أَيَّ زِيارَةٍ عَلى امتِدادِ 250 مِترًا مِن حَولِهِ، يَعتَبِرُهُ كَبَيتِهِ.

ما إن يُصبِحُ الشَّريكانِ في مَلجَئِهِما حَتّى يَتَوَسَّعا في التَّعارُفِ، فَهُما يَقِفانِ وَجهًا لِوَجهٍ وَيَقومانِ بِانحِناءاتٍ مُضحِكَةٍ مَصحوبَةٍ بِصَيحاتٍ حادَّةٍ. تَسمَحُ هذِهِ التَّحِيّاتُ بِإزالَةِ مَخاوِفِ كُلِّ شَريكٍ حِيالَ الآخَرِ؛ إنَّها تَقريبًا طَريقَةٌ لِلقَولِ: لا تَخافي، جِئتُكِ صَديقًا (أَو لا تَخَفْ جِئتُكَ صَديقَةً).

وَهكَذا، يَنجَحُ الأَمرُ؛ لِأَنَّ حُبًّا كَبيرًا يَنشَأُ لِلحالِ، فَيُسارِعُ الذَّكَرُ إلى القَبضِ عَلى طَرائِدَ كَي يُقَدِّمَها لِحَبيبَتِهِ بِمِنقارِهِ. وَهَل مِن شَيءٍ أَكثَرُ رومَنسِيَّةً؟


في فَترَةِ التَّزاوُجِ، لا تَتَّفِقُ الغِربانُ وَالصُّقورُ!



أَبَوانِ مِثالِيّانِ

خِلافًا لِكَثيرٍ مِنَ الطُّيورِ، لا تَبني الشَّواهينُ أَعشاشًا، بَل هِيَ تَحفُرُ في التُّرابِ نَوعًا مِن حَوضٍ تَضَعُ الأُنثى فيهِ بُيوضَها.

وَما إن يَحينُ وَقتُ الوَضعِ حَتّى تَتَوالى البُيوضُ، واحِدَةً كُلَّ ثَمانٍ وَأَربَعينَ أَوِ اثنَتَينِ وَسَبعينَ ساعَةً؛ وَتَأتي مِنها عُمومًا ثَلاثٌ أَو أَربَعٌ. وَبَينَما تَضَعُ السَّيِّدَةُ البُيوضَ، يَصطادُ السَّيِّدُ لِتَأمينِ الغِذاءِ لَهُ وَلِشَريكَتِهِ.



غالِبًا ما تَكونُ بُيوضُ الأُنثى حَمراءَ بُنِّيَّةً.



يَزِنُ كُلٌّ مِنَ الأَفراخِ الَّتي وُلِدَت لِلتَّوِّ ما بَينَ 30 وَ40 غرامًا. وَهيَ ضَعيفَةٌ جِدًّا وَتَصرُخُ حالَما تَشعُرُ بِالبَردِ.



لِأَنَّ تَغذِيَةَ الأَفراخِ تَتِمُّ كُلَّ ساعَتَينِ، فَإِنَّ حَجمَها يَكبُرُ ثَلاثَةَ أَضعافٍ بَعدَ عَشَرَةِ أَيّامٍ!



تَستَديرُ الأَفراخُ غَريزِيًّا نَحوَ المِنقارِ الَّذي يُطعِمُها، وَإِن كانَ دُميَةً مُتَحَرِّكَةً!



عِندَما يَبدأُ حَضنُ البَيضِ، يَتَشارَكُ الزَّوجانِ المُهِمَّةَ. فَلَيلًا، تَحضُنُ الأُمُّ صِغارَها بَينَما يَقومُ الأَبُ بِالحِراسَةِ. وَنَهارًا، عَلَيهِ هُوَ أَن يَجلِسَ عَلى البُيوضِ لِكَي يُبقِيَها ساخِنَةً!

بَعدَ شَهرٍ، تولَدُ الأَفراخُ كُلُّها تَقريبًا في الوَقتِ نَفسِهِ؛ وَتَبتَهِجُ الأُمُّ فَتَتَحَرَّكُ في كُلِّ الاتِّجاهاتِ مُصدِرَةً صَيحاتِ فَرَحٍ. وَلِأَنَّ أَفراخَ الصُّقورِ لا تَرتَدي سِوى زَغَبٍ رَقيقٍ، فَإِنَّ الأُمَّ تَستَمِرُّ بِتَدفِئَتِها طَوالَ سَبعَةَ عَشَرَ يَومًا تَقريبًا. وَفي ما خَصَّ الطَّعامَ، فَكُلُّ شَيءٍ مُتَوَقَّعٌ: يَأتي الأَبَوانِ بِالطَّعامِ حَتّى الأُسبوعِ الخامِسِ؛ وَيَقومانِ بِمُهِمَّتِهِما بِاهتِمامٍ بالِغٍ حَتّى إِنَّهُما يُؤَمِّنانِ أَحيانًا عَشرَ وَجَباتٍ في اليَومِ الواحِدِ!



يَتَمَرَّنُ هذانِ الصَّغيرانِ عَلى صَيدِ طَرائِدَ، مُتَمَسِّكًا كُلٌّ مِنهُما بِالآخَرِ بِواسِطَةِ المَخالِبِ!

بَعدَ الأُسبوعِ الخامِسِ، يَحِلُّ الرِّيشُ مَحَلَّ الزَّغَبِ، فَتُصبِحُ الأَفراخُ جاهِزَةً لِلطَّيَرانِ. وَفي هذا الوَقتِ، يُعَلِّمُها الأَبَوانِ تَدبيرَ أُمورِها بِنَفسِها، فَيَتَوَقَّفانِ بِدايَةً عَن نَتفِ الوَجَباتِ لِإجبارِها عَلى فِعلِ ذلِكَ؛ وَفيما بَعدُ، يَضَعانِ الطَّرائِدَ بَعيدًا عَن مَكانِ الرّاحَةِ لِدَفعِها إلى الذَّهابِ لِإحضارِها؛ وَأَخيرًا، ما إن تَنجَحُ الأَفراخُ الشّابَّةُ في الطَّيَرانِ، حَتّى تَلتَقِيَ أَبَوَيها في الأَجواءِ لِصَيدِ طَرائِدَ.

بَعدَ شَهرَينِ مِن بِدايَةِ طَيَرانِها، تُصبِحُ الشَّواهينُ عُمومًا قادِرَةً عَلى الصَّيدِ كَالكِبارِ.

مُفترِسٌ في خَطَرٍ

عَلى الرَّغمِ مِن أنَّ الشّاهينَ هُوَ مَلِكُ الصَّيدِ، فَقَد يَقَعُ هُوَ نَفسُهُ أَحيانًا ضَحِيَّةَ الصَّيدِ. إنَّ مُعظَمَ الطُّيورِ الَّتي تُوازيهِ حَجمًا يُمكِنُها أن تُشَكِّلَ خَطرًا عَليهِ. لكِنَّ الخَطَرَ الحَقيقِيَّ هُوَ الَّذي يَتَهَدَّدُ الصِّغارَ. فَعِندَما يَذهَبُ الأَبَوانِ لِإحضارِ الطَّعامِ، قَد تُصبِحُ الأَفراخُ فَريسَةَ أَيِّ نَوعٍ مِنَ الحَيَواناتِ، وَمِنها الجَوارِحُ كَالبومِ الأُوراسِيِّ وَالنَّسرِ وَالحِدَأَةِ؛ وَالغُرابِيّاتُ كَالغُرابِ الأَسوَدِ؛ وَالثَّديِيّاتُ كَالدَّلَقِ وَالرّاكونِ الغاسِلِ وَالهِرِّ البَرِّيِّ وَالثَّعلَبِ. تُنَبِّهُ صَيحاتُ



تُقيمُ الثَّعالِبُ أَحيانًا تَحتَ الجُروفِ حَيثُ تَعيشُ الشَّواهينُ، لِكَي تَجمَعَ ما يَسقُطُ مِن بَقايا الطَّعامِ.

الأَفراخِ هذِهِ الحَيواناتِ، الَّتي تُحَدِّدُ مَوقِعَها وَتُباغِتُها لالتِهامِها. إذا عادَ الأَبوانِ في الوَقتِ المُناسِبِ، فَإِنَّهُما يُدافِعانِ عَنها بِإِصدارِ صِياحٍ ثاقِبٍ وَالقِيامِ بِطَيَرانٍ تَرهيبِيٍّ وَحَتّى بِضَربِ المُعتَدي بِالمَخالِبِ!

يَتِمُّ أَحيانًا إنشاءُ أَوكارٍ اصطِناعِيَّةٍ لِتَسهيلِ التَّكاثُرِ.

أَمّا الخَطَرُ الأَكبَرُ الَّذي يَتَهَدَّدُ الشّاهينَ فَيَأتي بِنِسبَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الإِنسانِ. خِلالَ زَمَنٍ طَويلٍ، كانَ الإِنسانُ يَصطادُهُ كَغَيرِهِ مِنَ الحَيَواناتِ. وَكانَ كَذلِكَ يَقبِضُ عَلَيهِ لِتَدريبِهِ عَلى التِقاطِ الطُّيورِ لَهُ. وَالصَّيدُ بِاستِخدامِ الشّاهينِ يَعودُ إلى آلافِ السِّنينَ، وَقد ظَهَرَ في بُلدانٍ مُتَباعِدَةٍ كَفَرَنسا وَاليابانِ. وَمُنذُ زَمَنٍ غَيرِ بَعيدٍ أَيضًا، كانَت صِغارُ الشَّواهينِ تُسلَبُ مِن أَبَوَيها، وَذلِكَ لِتَغذِيَةِ هذِهِ المُمارَسَةِ؛ وَهذا ما قَلَّصَ عَدَدَ الشَّواهينِ البَرِّيَّةِ... لِحُسنِ الحَظِّ، تَغَيَّرَتِ العَقلِيّاتُ في السَّنَواتِ الأَخيرَةِ، وَخُفِّفَت قَوانينُ صارِمَةٌ صَيدَ الطُّيورِ وَأَسرَها.



مُعظَمُ الشَّواهينِ الَّتي تُستَخدَمُ حالِيًّا لِلصَّيدِ، وُلِدَ في الأَسرِ.

كانَ الإنسانُ كَذلِكَ مَن تَسَبَّبَ بِمَأساةٍ كَبيرَةٍ، فَقَدِ استَعمَلَ في القَرنِ الماضي مُبيداتِ حَشَراتٍ لِحِمايَةِ المَزروعاتِ، كادَت تَقضي على الشَّواهينِ كُلِّها. في الواقِعِ، كانَت تَأكُلُ هذِهِ المَوادَّ الضّارَّةَ جِدًّا طُيورٌ تَصطادُها بِدَورِها الجَوارِحُ، فَماتَت إذًا مَسمومَةً... لِحُسنِ الحَظِّ، أَصبَحَت مُبيداتُ الحَشَراتِ اليَومَ مَمنوعَةً في كُلِّ مَكانٍ، وَارتَفَعَ عَدَدُ الشَّواهينِ. وَلكِن، يَجِبُ التَّنَبُّهُ إلى عَدَمِ ارتِكابِ الأَخطاءِ نَفسِها في المُستَقبَلِ!

أَكثَرُ بِكَثيرٍ مِن طائِرٍ



كانَ خَفرَعُ، الفِرعَونُ العَظيمُ الَّذي أنشَأَ أبا الهَولِ في الجيزَةِ حَوالى السَّنَةِ 2500 قَبلَ الميلادِ، تَحتَ حِمايَةِ حورُسَ.

نَظرًا لِجَمالِ الشّاهينِ وَمَهاراتِهِ العالِيَةِ في الطَّيَرانِ وَالصَّيدِ، اعتَبَرَتهُ شُعوبٌ عَديدَةٌ إلهًا إلى حَدٍّ ما.

في مِصرَ القَديمَةِ، كانَ النّاسُ يَعتَقِدونَ بِأنَّهُ جَدُّ الفَراعِنَةِ الأَوَّلينَ. وَقَد دُعِيَ بِحورُسَ وَجُسِّدَ في هَيئَةِ رَجُلٍ ذي رَأسِ طائِرٍ جارِحٍ. لَعَلَّ المِصرِيِّينَ عَرَفوا مَدى حِدَّةِ بَصَرِهِ، لِأَنَّ عَينَي الشّاهينِ بِالنِّسبَةِ لَهُم، تَتَمَتَّعانِ بِقُدُراتٍ سِحرِيَّةٍ: هُما الشَّمسُ وَالقَمَرُ. وَوَفقَ ما تَبدو عَلَيهِ نَظرَةُ حورُسَ عَلى القُبورِ، فَهِيَ تَحمي الأَمواتَ مِنَ الأَرواحِ الشِّرِّيرَةِ.

كَذلِكَ بِالنِّسبَةِ لِهُنودِ أمريكا، كانَ الشّاهينُ إلهِيًّا، فَهوَ الطّائِرُ العاصِفَةُ الَّذي يَظهَرُ عَلى الطَّواطِمِ، وَهوَ رَمزُ الصّاعِقَةِ وَالبَرقِ، لِأَنَّهُ مِثلَهُما يَكونُ عِندَما يَنقَضُّ عَلى فَريسَتِهِ.

وَحَتّى عِندَما لَم يَكُنِ الشّاهينُ إلهًا، كانَ يَبقى أَكثَرَ مِن طائِرٍ. فَلِأَنَّ طَلَّتَهُ مَهيبَةٌ، غالِبًا ما قُدِّمَ هَدِيَّةً في خِلالِ زِياراتٍ دِبلوماسِيَّةٍ قامَ بِها مُمَثِّلو الدُّوَلِ. وَكانَت حَياتُهُ ثَمينَةً، تَحميها قَوانينُ تَقضي بِإعدامِ كُلِّ مَن يُسيءُ إلَيهِ!



هذهِ الحِليَةُ المِصرِيَّةُ مِنَ القَرنِ 12،
تُظهِرُ الجارِحَ المُفتَرِسَ مُمسِكًا
بِأَرنَبٍ بَرِّيٍّ.



الَّذي يَتَصَدَّرُ قِمَّةَ هذا
الطَّوطَمِ الهِندِيِّ هُوَ
شاهينٌ حَقًّا.



خِلالَ عُروضِ التَّدريبِ في حَدائِقِ
الحَيَواناتِ، يُقَدِّمُ الشّاهينُ أَحيانًا
مَهاراتِهِ البَهلَوانِيَّةَ.

في شِبهِ الجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ، مُنذُ بِدايَةِ الإسلامِ، كانَ لِلشّاهينِ، رَفيقِ الصَّيّادِ المُخلِصِ، مَكانٌ خاصٌّ. كَما رُوِيَ عَنِ السُّلطانِ صَلاحِ الدّينِ في القرنِ الـ 12، أَنَّهُ في أَثناءِ إِحدى المَعارِكِ، أَشفَقَ عَلى شَواهينِ خَصمِهِ، فَأَرسَلَ لَها طُيورًا داجِنَةً لِئَلّا تَموتَ جوعًا!

عائِلَةٌ كَبيرَةٌ جِدًّا!

لِلشَّواهينِ كَثيرٌ مِنَ الأَقارِبِ في العالَمِ. تَتَضَمَّنُ الفَصيلَةُ الصَّقرِيَّةُ الَّتي يَنتَمي إلَيها الشّاهينُ حَوالى عَشَرَةِ أَنواعٍ مِنَ الصُّقورِ. وَلِأَنَّ ذِكرَها كُلَّها غَيرُ مُمكِنٍ، فَسَوفَ يَقتَصِرُ الكَلامُ عَلى الأَكثَرِ شُهرَةً بَينَها: الكَركاراتُ، وَالصُّقورُ الضّاحِكَةُ، وَالصُّقَيراتُ وَالصُّقورُ نَفسُها.



الكَركاراتُ

نِظامُها الغِذائِيُّ واسِعٌ: طُيورٌ وَزَواحِفُ وَحَشَراتٌ. وَلكِن، خِلافًا لِلشَّواهينِ، إنَّها خُصوصًا آكِلاتُ جِيَفٍ، أَي أَنَّها تَغتَذي بِالحَيَواناتِ الَّتي تَعثُرُ عَلَيها مَيتَةً. توجَدُ الكَركاراتُ في الصَّحاري، وَالسّاڤاناتِ، وَالمُروجِ الجافَّةِ وَالمَشارِفِ الصَّخرِيَّةِ. وَمِنها كَركارُ الشَّمالِ، وَهوَ ذو عُرفٍ سَميكٍ وَوَجهٍ أَصفَرَ يَجعَلانِهِ يَبدو مُفتَرِسًا جِدًّا.



الصُّقورُ الضّاحِكَةُ

مَعَ ما تَتَّسِمُ بِهِ مِن ريشٍ قِشدِيِّ اللَّونِ، وَرَأسٍ عَريضٍ، وَذَنَبٍ طَويلٍ، وَقِناعٍ مِن ريشٍ أَسوَدَ يَجعَلُها تُشبِهُ زورو، لا تَمُرُّ هذِهِ الطُّيورُ مِن دونِ أَن تُلاحَظَ! لا سِيَّما أَنَّها تُطلِقُ صَباحًا وَمَساءً صَيحاتٍ صاخِبَةً وَمُنتَظِمَةً. توجَدُ هذِهِ الطُّيورُ في المَناطِقِ الاستِوائِيَّةِ، وَعَلى مَقرُبَةٍ مِن فُرَجِ الغاباتِ، حَيثُ تَغتَذي بِالحَيّاتِ فَقَط تَقريبًا. هذا غَريبٌ!

الصُّقيراتُ

توجَدُ هذِهِ الطُّيورُ خُصوصًا في آسيا وأفريقيا، وهيَ أصغرُ الصَّقريّاتِ. إنَّ الصُّقيرَ ذا القائِمتَينِ السَّوداوَينِ هُوَ بحجمِ العُصفورِ الدّوريِّ، ويُقيمُ في غاباتِ ماليزيا وتايلندا وميانمار، حيثُ يَغتذي بالحشراتِ. أمّا الصُّقيرُ القزَمُ الأفريقيُّ، فهو أكبرُ بقليلٍ، يبلُغُ طولُهُ 20 سم، ومعَ ذلكَ فهو أصغرُ جوارحِ القارّةِ الأفريقيّةِ. من نوادرِ هذهِ الطُّيورِ، أنَّ الأُنثى تَعيشُ أحيانًا معَ عدّةِ ذُكورٍ في آنٍ واحدٍ؛ وهذا أكثرُ فعاليّةً من حيثُ الدِّفاعُ عنِ النَّفسِ، والذَّهابُ لتأمينِ الطَّعامِ، وحُسنُ حضنِ البُيوضِ كُلِّها!

الصُّقورُ نفسُها

تتمَيَّزُ هذِهِ الفِئَةُ بالهيئةِ نفسِها، فالجناحانِ طويلانِ ومُروَّسانِ، والذَّيلُ طويلٌ والمِنقارُ صَغيرٌ وقاطِعٌ. تَضُمُّ حوالى ثَلاثينَ عُضوًا، مِن بينِها:



العاسوقُ

إنَّهُ يأكلُ الثَّدييّاتِ بنوعٍ خاصٍّ: فئرانَ الأحراجِ والحُقولِ. وما يجعلُهُ فريدًا، هُوَ طيرانُهُ، فَعلى ارتفاعِ حوالى عشرةِ أمتارٍ عنِ الأرضِ، يَثبُتُ في الجوِّ مُرفرِفًا بجناحَيهِ باستمرارٍ، وفاتِحًا ذيلَهُ كمِروحةٍ لكي يُحافظَ على التَّوازُنِ؛ وعندما تَظهَرُ طريدةٌ، يَغطِسُ...



السُّنقُرُ

مَعَ سَعَةِ جَناحَيهِ الَّتي قد تَصِلُ إلى 1,50 م، هُوَ أكبَرُ الصُّقورِ كُلِّها. يَعيشُ في بُلدانِ الشَّمالِ حَيثُ مَناطِقُ القُطبِ الشَّماليِّ، وَيَغتَذي خُصوصًا بالحِجلانِ، وَهيَ طُيورٌ مُضحِكَةٌ تُشبِهُ الدَّجاجَ. يَمتازُ بِتِقنِيَّةِ صَيدِهِ، فَهوَ يُفاجِئُ طَريدَتَهُ طائِرًا بِمُستَوى الأَرضِ، وَإن كانَ هذا غَيرَ كافٍ، فَإنَّهُ يَتبَعُها مَسافَةَ كيلومِتراتٍ حتّى تَتعَبَ أخيرًا.





الصَّقرُ الحُرُّ

هُوَ بِحَجمِ الشّاهينِ تَقريبًا، وَسُلوكُهُ غَريبٌ. إذ يَبدو أَنَّ الأُنثى تُخيفُ الذَّكَرَ لأَنَّها أَكبَرُ حَجمًا مِنهُ، فَهوَ يَهرُبُ ما إن تَقتَرِبُ مِنهُ. وَلكِن، عِندَما يَحينُ وَقتُ الصَّيدِ، فَإنَّ العَمَلَ يَتِمُّ بِالتَّعاوُنِ فيما بَينَهُما، فَالأُنثى تَتبَعُ الطَّرائِدَ قَريبَةً مِنَ الأَرضِ وَتَدفَعُها إلى الانحِرافِ بِاتِّجاهِ زَوجِها الَّذي يَستَعِدُّ عالِيًا في السَّماءِ لِلانقِضاضِ على ضَحِيَّتِهِ. يا لَهُ مِن ثُنائِيٍّ غَريبٍ!



صَقرُ إليونورا

تَعودُ هذِهِ التَّسمِيَةُ إلى قاضٍ شَهيرٍ كانَ يَعيشُ في سَردينِيا، في القَرنِ الـ 14. بِفَضلِهِ وُضِعَت أُولى قَوانينِ حِمايَةِ الطُّيورِ الجارِحَةِ. وَقَد يَكونُ هذا الطّائِرُ أكثَرَ الصُّقورِ أَناقَةً، فَجَناحاهُ الضَّيِّقانِ يَمنَحانِهِ خِفَّةً لا مَثيلَ لَها. وَهوَ كَثيرُ الهُجرَةِ، وَيَستَطيعُ أن يَجتازَ أكثَرَ مِن 10000 كم. وَفي فَترَةِ التَّكاثُرِ، تَطيرُ صُقورُ إليونورا مُجتَمِعَةً، وَتَغطِسُ في وَقتٍ واحِدٍ على طَرائِدِها، ثُمَّ تَتَناوَلُ الوَجَباتِ مَعًا.



الرِّيشُ الطَّويلُ الَّذي يُغَطّي قائِمَتَي الشّاهينِ يُخَفِّفُ مُقاوَمَتَهُ لِلهَواءِ عِندَما يَطيرُ.



بِطاقَةُ تَعريفٍ

الفَصيلَةُ: صَقرِيّاتٌ

الرُّتبَةُ: جَوارِحُ

الصَّفُّ: طُيورٌ

المَسكَنُ: الجِبالُ، الشَّواطِئُ، سُهُبُ القُطبِ الشَّمالِيِّ، المُدُنُ

الانتِشارُ: القارّاتُ كُلُّها ما عَدا الأَنتَركتِكا

فَترَةُ حَضنِ البَيضِ: حَوالى شَهرٍ واحِدٍ

عَدَدُ البُيوضِ: مِن 3 إلى 4

الطّولُ: حَوالى 40 سَنتِمِترًا لِلذَّكَرِ، وَ50 سَنتِمِترًا لِلأُنثى

سَعَةُ الجَناحَينِ: حَوالى 85 سَنتِمِترًا لِلذَّكَرِ، وَ105 سَنتِمِتراتٍ لِلأُنثى

الوَزنُ: حَوالى 600 غرامٍ لِلذَّكَرِ، وَ1000 غرامٍ لِلأُنثى

نِظامُ الاغتِذاءِ: الطُّيورُ فَقَط تَقريبًا

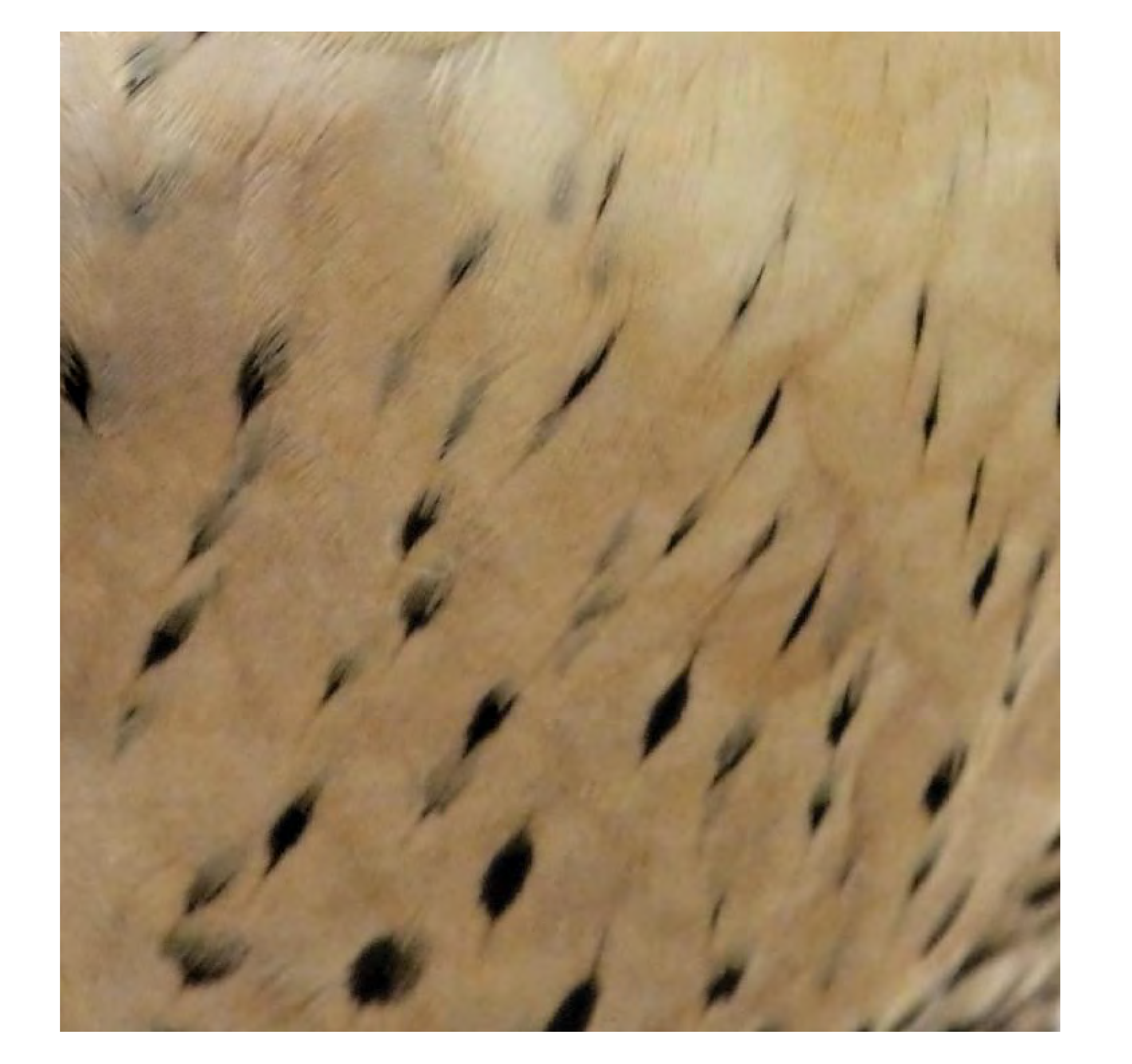
العُمرُ التَّقريبِيُّ: حَتّى 20 عامًا


حاجباهُ بارزانِ يَحميانِ
عَينَيهِ الدّاكِنَتَينِ اللَّتَينِ
تَتَمَتَّعانِ بِبَصَرٍ ثاقِبٍ.
ريشُ الشّاهينِ رَماديٌّ
داكِنٌ عَلى الظَّهرِ وَوَجهِ
الجَناحَينِ، وَرَماديٌّ فاتِحٌ
مُخَطَّطٌ بِالأَسوَدِ عَلى
البَطنِ وَقَفا الجَناحَينِ.
مِنقارُهُ قَصيرٌ وَلكِنَّهُ
قاطِعٌ يَسمَحُ لَهُ بِالتِهامِ
طَريدَتِهِ دُفعَةً واحِدَةً.
مَخالِبُهُ القَوِيَّةُ تَسمَحُ لَهُ
بِمُصارَعَةِ الطَّريدَةِ، أَي
بِضَربِها في أَثناءِ الطَّيَرانِ.



طُبِع هذا الكتاب في لبنان لدى مطابع بيبلوس برينتنغ.
© **سمير** دار نشر 2015
سنّ الفيل، الجسر الواطي، ص. ب. 55542 بيروت، لبنان
ISBN 978-9953-31-504-1

Crédits photographiques
iStock, 123rf, Bigstock, Dreamstime, Shutterstock
p. 3 : © Nature PL/Claudio Contreras/Diomedia – p. 5 : © FLPA/Andrew Parkinson/Diomedia – p. 6 (h) : © Ardea/Diomedia – p. 6 (b) : © Biosphoto/Thierry Nicaise/Diomedia – p. 7 : © Red Circle Images RM/Diomedia – p. 8 : © SuperStock RM/Diomedia – p. 12 : © Biosphoto/Roger Dauriac/Diomedia – p. 13 : © Ardea/Diomedia – p. 14 : © UIG Education/Auscape/Diomedia – p. 15 : © Nature PL/Jorma Luhta/Diomedia – p. 16 : © Biosphoto/Roger Dauriac/Diomedia – p. 17 (h) : © All Canada Photos/Diomedia – p. 17 (b) : © Nature PL/Diomedia – p. 18 (g) : © Frans Lanting/Corbis/ArabianEye.com – p. 18 (d) : © Galen Rowell/Corbis/ArabianEye.com – p. 19 : Alex Thomson Photography/Getty Images – p. 20 : © Paul Souders/Corbis/ArabianEye.com – p. 21 : © FLPA/Bill Baston/Diomedia – p. 22 : © FLPA/David Tipling/Diomedia – p. 23 : © Werner Forman Archive/Diomedia – p. 24 (h) : © Werner Forman Archive/Werner Forman/Diomedia – p. 24 (b) : © Nature PL/Eric Baccega/Diomedia – p. 25 (h) : © SuperStock RM/Diomedia – p. 25 (b) : © Eric and David Hosking/Corbis/ArabianEye.com – p. 26 (b) : © Biosphoto/Emile Barbelette/Diomedia – p. 27 (b) : © Nature PL/WWE/Unterthiner/Diomedia – p. 28 : © imageBROKER RM/Sohns/Diomedia – p. 30 : © Ardea/Bill Coster/Diomedia.



عاليًا في الفَضاءِ، تُحَلِّقُ طُيورٌ مُهاجِرَةٌ، قَريبَةٌ جِدًّا بَعضُها مِن بَعضٍ. وَفي مَكانٍ أَعلى بَعدُ، تَحومُ نُقطَةٌ سَوداءُ تَكادُ لا تُرى. وَإذا بِهذِهِ النُّقطَةِ تَهبُطُ في خَلاءٍ وَبِسُرعَةٍ رَهيبَةٍ؛ رَأَتها الطُّيورُ المُهاجِرَةُ بَعدَ فَواتِ الأَوانِ، وَحاوَلَتِ الفِرارَ مُطلِقَةً أَجنِحَتَها لِلرّيحِ؛ غَيرَ أَنَّ المُهاجِمَ أَدرَكَها فَأَمسَكَ طَريدَةً بِمَخالِبِهِ؛ بَعدَ قَليلٍ، وَفي غَمرَةِ طَيَرانِهِ، نَتَفَ الطَّيرَ وَابتَلَعَهُ. تَناوَلَ الشّاهينُ وَجبَةً لِلتَّوِّ!



ISBN 978-9953-31-504-1

9 789953 315041